تحت الرعاية السامية لمعالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي

SOUS LE HAUT PATRONAGE DE MONSIEUR, LE MINISTRE DE L' ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

الجـامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية - أدرار

L'UNIVERSITE COLONEl AHMED DRAYA-ADRAR

تنظـــــــم

ORGANISE

الملتقى الدولي الحادي عشر

Onziéme Colloque International

التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة

Le Soufisme en Islam et Les défis contemporains

أيام: ٩-١٠-١١ نوفمبر ٢٠٠٨

المحور الثاني:

نشأة التصوف وأعلامه

"ملامح الفكر المقاصدي في الخطاب الصوفي "

عند الشيخ أحمد زروق نموذجا

التصوف ومقاصد الشريعة

د. ادريس بووانو

جامعة محمد الخامس

مقدمة:

انفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى، والحافظون قلوبهم عن طريق الغفلة باسم التصوف،واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة.ومن بعدهم ظهر رجال أفذاذ واعلام كبارأطلق عليهم أهل التصوف تركوا لنا تراثا ضخما، عمل فيه الدارسون من قبل –وحتى اليوم– نظرهم، وفحصوا كثيرا من جوانبه.

وقد عرف هذا التراث، تراث التصوف الاسلامي مسارات ومناحي عقب نشوءه وتطوره، فظهرت التآليف فيه والتصنيفات من لدن معاصرين له ومن لدن غيرهم.

وعبر مسيرته الطويلة عرض التصوف الاسلامي عموما هنات وسقطات، وخيمت في سمائه سحب ملبدة بالغيوم بسبب ما وقع به من انحرافات وانعطافات حادت به عن طريقه السليم، فوقع ه ووأهله فريسة فهم مشوه وقراءات مبتسرة وتقليد سطحي، فساد اتباع أعمى لأعلامه، وران تشوه لكثير من مفاهيمه ومصطلحاته، فكان لذلك كله أثره البالغ على قصدية الفكر الصوفي وهدفه الذي شيد لأجله.وقامت جماعة من العلماء والفقهاء في شتى الأمصار والأقطار، ناقدة ومنتقدة، فكان منها المغالي، وكان منها المقتصد، وكان منها المبالغ، وكان منها العالم المتبصر، وكان منها الجاهل المستكثر.

في ظل هذه العتمة المظلمة قيض الله لهذا الخطاب نفرا من أهل الحق تسلحوا برؤية أصيلة، وبفكر صوفي ثاقب رصين، جمعوا بين الفقه في الدين، ورسوخ قدم في فهم التصوف، وانخراط موفق موزون في التجربة الصوفية.

وكان مقصدهم وغايتهم هو إزالة أستار العتمة المظلمة التي خيمت على هذا الخطاب، وتجلية السحب الملبدة التي أرخت بظلالها على طريق السالكين الأتقياء من أهل هذا االطريق وأصحابه، وتصحيح طريق دربه.

– الشيخ أحمد زروق ومهمة تصحيح طريق التصوف

ومن هؤلاء الأعلام الكبار، شيخنا سيدي أحمد زروق رحمة الله عليه، فه وعلم من أعلام طائفة المتصوفة، صاحب فكر صوفي متين وراسخ، كان له السبق في إيضاح عتمة درب التصوف أمام سالكيه.

شعر الشيخ أحمد زروق وهو الفقيه والمتصوف الذي جمع بين علمي الشريعة والطريقة أن ما علق بالتصوف من نعوت وشوائب، وأن ما ناله من نقد وهجوم انما بسبب ما ألصق به، وما أضيف إليه من أمور خارجة عن دائرته، ولمس عن قرب – خلال مقامه وترحاله وزيارته لبعض المنتسبين للتصوف غير العالمين به، وما سمع عن بعضهم الآخر– أن ثمة انحرافا وانصرافا حادثا في طريق التصوف، فأخذ على عاتقه مهمة التصحيح والتقويم لهذا الطريق مزيلا جل ما علق به بفكر صوفي كسته رؤية مقاصدية واضحة المعالم والمسالك.

سعى الشيخ أحمد زروق سعيا حثيثا نح وتصويب طريق التصوف، ولم يكن مسعاه هذا خلوا من بعض الصعوبات والعقبات، كما لم يكن بمنأى أن تصوب ضده وحوله سهام خصوم وأعداء رغبوا عن طريق التصحيح الذي حمل لواءه، فأذاعوا وأشاعوا ما شاءوا من الأقوال، لكنها ما نالت من صموده وعزيمته القوية في إنارة طريق السالكين.

فقد كان يدفع السيئة بالحسنة، ويرد على مخالفيه بأسلوب نقدي بناء مشبع بقدر كبير من الاحترام والتقدير، وهو بهذا كان يضع ليس فحسب لمريديه بل لكل سالك طريق التصوف معالم هذا الطريق واضحة جلية، منبها في الآن ذاته لكل ما علق علوقا شديدا بهذا الطريق من شوائب وكادورات.. وقد ساعده على هذا كله تسلحه بفكر مقاصدي تجلت ملامحه في كثير من مصنفاته وكتبه، وسنعمد بقدر الامكان على تبيان وبيان هذه الملامح خاصة في كتابيه : قواعد التصوف، وشرحه لحكم ابن عطاء الله السكندري.

- ولادته ونشأته وتعلمه:

هو أب والفضل شهاب الدين أب والعباس أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي المعروف بزروق. ولد عند مطلع يوم الخميس الثاني والعشرين من محرم سنة 846هـ/1442م .

اشتهر أحمد زروق بلقب زروق من جده ذي العينين الزرقاويين كما تحكي بعض المصادر. وحين ولد سماه أبوه محمد إلا أنه سرعان ما عرف باسم أبيه أحمد حين توفي الأب . كما توفيت أمه بعد ولادته بثلاثة أيام وهكذا سيكبر الطفل يتيما الوالدين، لكن جدته الفقيهة أم البنين سوف ترعاه وتعوضه حنان ورعاية والديه.

وكان بيت الجدة محيطا صالحا أتاح للطفل الإلمام بالمبادئ الأولية للعلوم الإسلامية المتداولة إذ "كانت الجدة فقيهة ومتضلعة في العلوم الشرعية "[1]. قضى زروق في كنفها عشر سنوات، حفظ خلالها القرآن الكريم، وتعرف على المصنفات التمهيدية التي لا غنى للمبتدئ منها، وبعد ذلك انقطع للصناعة فتعلم الخرازة واشتغل بها الى أن بلغ سن السادسة عشر حيث عاد بعد ذلك الى طلب العلم.

شب أحمد زروق وترعرع في مدينة فاس حيث كانت موئل العلماء خاصة في العصر المريني وبفض هذا صار أحمد زروق يتردد على شيوخ العلم والتصوف، ويحضر كثيرا من مجالس هؤلاء وأولئك، ويعمل عقله كثيرا فيما يسمعه . وتجمع المصادر أنه كان يتمتع بذاكرة قوية ساعدته على استيعاب كثير مما كان يتلقاه من المعارف . وكان دائم التفكير والتأمل الأمر الذي هيأ له أن يسم وإلى درجة العلماء الجهابذة الذين طفح بهم العصر المريني، والذين كان يتشوف إلى بلوغ درجتهم ومكانتهم .

سافر أحمد زروق من الديار المغربية إلى الديار المشرقية، وتكشف لنا بعض التراجم عن تواجده بمصر آخذا علم التصوف عن الحضرمي وأمثاله، والمصلحة عن السخاوي وعلوما ومعارف أخرى.

ويبقى علم التصوف أبرز علم غلب على أحمد زروق حيث تجرد له، وساح كما يذكر الزركلي في الإعلام.

ثم إن طبيعة أحمد زروق العلمية أبت عليه أن يمر بكل مراحل رحلته مرورا عاديا إذ لا بد أن تكون له اتصالات مع المراكز العلمية سواء بالجزائر وتونس، ويؤيد هذا تلقيه دروسا على علماء بتونس ومنهم عبد الرحمن المجدولي، وعلماء بالجزائر ومنهم أحمد بن محمد بن زكري وعن آخرين بليبيا.

وهوعابر في رحلته إلى المشرق كان متسلحا بعين ترصد ما عليه المنتسبون إلى التصوف من انحراف مبعثه تنصيب شيوخ جاهلين بتعاليم الإسلام على رأس مجموعة من الطرق تأوي إليها حشود من المريدين يرون في شيخهم القدوة المثلى والأسوة العليا التي يستمدون منها سلوكهم.

وبعد سفر طويل يصل أحمد زروق إلى القاهرة ليتصل بعلمائها ومتصوفيها، ويقع اختياره على شيخه الحضرمي الذي أعجب به فقربه إليه، كما أضحى مستشارا له في كل كبيرة وصغيرة من أموره " ثم

[1] أحمد زروق، الكناش تحقيق علي فهيم خشيم، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع. طرابلس – ليبيا ص 11 .

أسلكه في طريقته، وصار أحد أتباعه المخلصين."[2] وبمصر سيأخذ عن شيوخ آخرين قبل أن يكمل رحلته إلى الحجاز فيحج بمكة ثم يعرج على المدينة فيجاور بها.وبعد هذه الرحلة إلى المشرق التي لم تتجاوز السنتين – كما تذكر التراجم– عاد أحمد زروق إلى المغرب، وفي طريق عودته سيقيم ببجاية ليغادرها متوجها إلى مسقط رأسه مدينة فاس التي غاب عنها حوالي سبع سنين.

انتهت الرحلة الحجازية التي قام بها شيخنا أحمد زروق بعودته إلى المغرب،وقد سبقت عودته الجسدية سمعته العلمية التي اكتسبها من رحلته هذه وتلقيه العلم والتصوف على شيوخ المشرق، وسرعان ما انغمر أحمد زروق في الحياة الصوفية والعلمية بمدينته فاس حيث حرص أن يعيش بها حياة هادئة دون أن يمنعه ذلك من الإنكار على قومه مما هم عليه من السلوكات التي كان فيها خروج عن تعاليم الإسلام الحنيف. وقد لقي جراء ذلك مقاطعة اجتماعية تعرض لها من لدن أبناء بلده، ومدينته إذ تنكرت له وأنكرته " فانسحب من المجتمع – كما يذكر فهيمي خشيم –بعد أن قوبل بما قوبل به وما واجهه من صعوبة وسوء فهم."[3] وعقب ذلك فكر في القيام برحلة أخرى، وتذكر كثير من المصادر أن تفكيره وهمه للقيام بهذه الرحلة جاء نتيجة المقاطعة الاجتماعية السالفة الذكر.

مهما تعددت أسباب مغادرة أحمد زروق لبلدته متوجها إلى مصر في رحلة ثانية، ومهما اختلفت التأويلات والتفسيرات لهذا الخروج المستعجل إلا أن كثيرا من المصادر تجمع على أن مقام أحمد زروق بين أظهر كثير من علماء فاس ومتصوفيها كان غير مرغوب فيه، نظرا لما أظهره من منافسة لهم، ونظرا للرؤية الإصلاحية الجديدة التي حملها وهي الرؤية التي خالفت مخالفة صريحة ما درج عليه منافسوه.

من جانب آخر يمكن القول بأن الرحلة الثانية لأحمد زروق للديار المشرقية ولمصر بصفة قد اختلفت اختلافا كليا عن الرحلة الأولى، إذ هذه المرة علم بقدومه علماء مصر فخصوه باستقبال كبير، وأفسحوا له مجالس التدريس بالأزهر الشريف التي كان يحضرها ما يقارب ستة آلاف شخص، كما أسندوا له فتوى وإمامة المالكية بالمشرق .

وعلى العموم فقد كانت لزروق صولة عند أمراء المصريين وقبول عند الخاص والعام من أهل هذه الديار عكس ما كان له في ديار فاس .

طبعا لم تكن هذه الرحلة هي الأخيرة في رحلات أحمد زروق بل استتبعتها رحلاته إلى الحج ومناطق أخرى قبل أن يستقر به المقام بضواحي طرابلس الليبية ويختار منطقتها منطقة مصراته مقرا له باعتبارها كانت تشكل أقرب نقطة من المسجد الذي كان يلقي فيه دروسه على مريديه وأتباعه.ولم يغادرها سوى مرتين: الأولى إلى الجزائر وربما ليرعى بعض شؤونه وشؤون أسرته، والثانية لتأدية فريضة الحج للمرة الثالثة .

---

[2] فهيمي خشيم: احمد زروق والزروقية،دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة . المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع . ط 2 سنة 1980 ص46 .

[3] المرجع نفسه ص 51/50

وفي اليوم الثامن عشر من شهر صفر سنة 899هـ لقي ربه في خلوته وعمره أربع وخمسون عاما. تاركا وراءه تراثا ضخما ما يزال شاهدا على عظمة هذا الرجل وعل وكعبه، وسعة فكره ..

ـ الأسس النظرية للطريقة الزروقية

اذا أردنا أن نستكمل صورة عن الطريقة الزروقية، ونحدد الاطار الذي وجدت فيه فلابد أن نلقي نظرة على مبادئها، وقد لخصها الشيخ السنوسي صاحب كتاب " المنهل الروي الرائق" وذكرها في نص طويل جاء فيه : **(**أصول طريقتنا خمسة أشياء : تقوى الله في السر والعلانية، واتباع السنة في الأقوال والأفعال، والاعراض عن الخلق في الاقبال والادبار، والرضا عن الله في القليل والكثير، والرجوع اليه في السراء والضراء. ولا يكتفي بهذه الجمل العامة بل عمد زروق لتفصيل ذلك قائلا: وتحقيق السنة بالتحفظ وحسن الخلق، وتحقيق الاعراض عن الحلق بالصبر والتوكل، وتحقيق الرضا عن الله بالقناعة والتفويض، وتحقيق الرجوع الى الله بالحمد والشكر واللجوء اليه في السراء والضراء.

ويذكر زروق أن أصول ذلك كله خمسة وهي: الهمة، وحفظ الحرمة، وحسن الخدمة، ونفوذ العزمة، وتعظيم النعمة، فمن علت همته ارتفعت مرتبته،ومن حفظ حرمة الله حفظ الله حرمته، ومن حسنت خدمته وجبت كرامته، ومن نفذت عزمته دامت هدايته، ومن عظمت النعمة في عينه شكرها، ومن شكرها استوجب المزيد من النعم. وفي جانب المعاملة ذكر أن أصولها خمسة: طلب العلم للقيام بالأمر، وصحبة المشايخ الذين أقامهم الحق سبحانه والاخوان للتبرك، وترك الرخص والتأويلات للتحفظ، وضبط الأوقات بالاوراد للحضور، واتهام النفس في كل شيء للخروج من الهوى والسلامة من العطب والغلط.**)**[4]

ويفصل أحمد زروق في آفات الأصل الأول للمعاملة وه وطلب العلم والمحبة قائلا : " فطلب العلم آفته صحبة الأحداث سنا وعقلا أ ودينا مما لا يرجع لأصل ولا قاعدة، ومن آفات المحبة الاغترار والفضول، وآفة ترك الرخص والتأويلات الشفقة على النفس، وآفة ضبط الأوقات اتساع النظر في العمل بالفضائل، وآفة اتهام النفس الأنس بحسن أحوالها واستقامتها"[5].

"..والنفس في حاجة الى ماتتداوى به وأصول ذلك خمسة أشياء وهي : تخفيف المعدة بقلة الطعام، واللجأ الى الله مما يعرض عنه عروضه، والفرار مما يخشى وقوع الأمر المتوقع منه، ودوام الاستغفار مع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بخلوة وانجماع، وصحبة من يدل على الله أ وعلى أمر الله– وه ومعدوم. وكثير من فقراء عصر أحمد زروق قد ابتلوا بخمسة أشياء ذكرها قائلا: وقد رأيت فقراء هذا الوقت قد ابتلوا بخمسة أشياء : ايثار الجهل على العلم، والاغترار بكل ناعق، والتهاون في الامور، والتعزز بالطريق، واستعجال الفتح دون شرطه. فابتلوا بخمسة أشياء وهي : ايثار البدعة على السنة، واتباع أهل الباطل دون أهل الحق، والعمل بالهوى في كل أمر أ وجل الأمور، وطلب الترهات دون الحقائق وظهور

[4] أحمد زروق والزروقية ص 181

[5] المرجع نفسه ص 182/181

الدعوى دون صدق. فظفروا لذلك بخمسة أشياء : الوسوسة في العبادات، والاسترسال مع العادات والاجتماع في عموم الاوقات واستمالة الوجوه بحسب الامكان والاغترار في ذلك بوقائع القوم وذكر أحوالهم. ول وتحققوا لعرفوا أن الأسباب رخصة الضعفاء فلا يسترسل معها، وأن السماع رخصة العلوي ا والكامل، وأن الوسوسة بدعة أصلها جهل بالسنة وخبال في العقل، وأن التوبة ادبار من الخلق اقبال على الحق، وأن صحبة الأحداث ظلمة وعار في الدنيا والآخرة، وقبول رفاقهم أعظم وأعظم.

وقد قال سيدي أب ومدين رضي الله عنه: الحدث من لم يوافقك على طريقك وان كان ابن سبعين سنة . وه والذي لا يثبت على حال ويقبل كل يلقى اليه فيولغ فيه– وأكثر ما تجد هذا في أبناء الطريق، وهم الطوائف وطلبة المجالس، فاحذرهم بغاية جهدك.

وكل ما ادعى حالا مع الله ثم ظهرت منه احدى خمس فه وكذاب أ ومسلوب: ارسال الجوارح في معصية الله، والتصنع بطاعة الله، والطمع في خلق الله، والوقيعة في أهل الله وعدم احترام مسلم.

وشروط الشيخ الذي يلقي اليه المريد نفسه علم صحيح، وذوق صريح، وهمة عالية، وحالة مرضية، وبصيرة نافذة.

ومن كانت به خمس لا تصح مشيخته : الجهل بالدين، واسقاط حرمة المسلمين، والتدخل فيما لا يعني، واتباع الهوى في كل شيئ، وسوء الخلق من غير مبالاة.

وأدب المريد مع الشيخ والاخوان خمسة: اتباع الأمر وان ظهر خلافه،واجتناب النهي، وحفظ حرمته حاضرا وغائبا حيا وميتا، والقيام بحقوقه بحسب الامكان بلا تقصير، وعزل عقله وعلمه ورئاسته اذ قلما ينجح فاعل ذلك.

ويستعين على ذلك بالانصاف والنصيحة – وهي معاملة الاخوان – وان لم يجد شيخا مرشدا، وان وجده ناقصا عن شروطه الخمسة اعتمد فيها على محمل فيه وعومل بالأخوة في الباقي.." [6].

هذه هي الاصول التي أسس عليها أحمد زروق طريقته، وهي التي كانت تلزم كل مريد وسالك لطريق التصوف، أسس في غاية الدقة والوضوح والبيان شكلت خطوات أولية في طريق الالتحاق بالطريقة، واستيعابها لازم لكل مريد قبل قبول عضويته في الطريقة.

المبحث الثالث: مواضيع الفكر الصوفي عند أحمد زروق.

يمكن تقسيم مواضيع الفكر الصوفي لدى أحمد زروق الى أصناف ثلاثة "[7]

الصنف الأول ويتعلق بأفكاره حول دقائق التصوف وعمومياته .

الصنف الثاني ويتعلق بنقده الصوفي والاجتماعي

---

[6] أحمد زروق والزروقية ص 182

[7] إبراهيم حركات، المدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 15/9،دار الرشاد الحديثة 2000/1421ج 3 ص 189/186

الصنف الثالث ويتعلق بأفكاره الصوفية الفقهية.

وبقدر من الإيجاز سنحاول أن نشير لأهم ما تطرق له أحمد زروق في كل صنف من أصناف فكره.

- **الصنف الأول:**

تناول أحمد زروق جوانب عديدة في هذا الصنف الأول من فكره نذكر منها : حديثه عن تصنيف شيوخ التصوف الى شيخ تعليم تؤخذ عنه المعرفة بطريق الكتاب،وشيخ تربية يقتدى به في الصحبة، وشيخ ترقية يكتفى عنه اللقاءوالتبرك. لكن الترقية لا بد فيها من شيخ .والتربيةوالتقويم لابد فيهما من شيخ لمن ليس لبيبا أولمن هوبليد.وللمحاسبي كلام نفيس في هذا الباب علق عليه بكلام بليغ محقق كتابه "رسالة المسترشدين" عبد الفتاح أبوغدة في صفحات 38/ 41 يمكن الرجوع اليها لمزيد من الايضاحوالتفصيل.

وأشار أحمد زروق في هذا الصنف من فكره الى أن التصوف لا يختص بفقرولا غنى، اذا كان صاحبه يريد بهوجه الله .واستدل على ذلك بأهل الصفة الذين كانوا فقراء، ثم أصبح بينهم الغني والامير والمتسبب، لأنهم صبروا النعمة وشكروا عند وجدها .والله عز وجل يقول: (واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم)[8]، وقوله عز وجل (ولئن صبرتم له وخير للصابرين)[9]. وفي هذا الباب يحبد أحمد زروق التوسط في العبادة لأن ذلك أرفق بالنفس وأبقى وأدوم . وأن كل تشدد في العبادة أ وتراخ عنها منهي عنه، وهذا يسير مع المنهج القرآني الاعتدالي الوسطي الذي أمر به عز وجل ودعا اليه رسوله الكريم في ثنايا كثير من الأحاديث.

ويفسر أحمد زروق الرياضة–في التصوف–بأنها تمرين لاثبات حسن الأخلاق ودفع سيئها. وللتعرف على أصولها وممارستها اقترح الرجوع الى مؤلفات بعض رجالها ذكر أسماءهم.

ولم يغفل أحمد زروق في هذا الصنف من فكره شطرا هاما وه وشطر الأخلاق والآداب، التي يتعين على الفقير والمريد والسالك الأخذ بها وتجنب ما تنصحه بمجانبته.

وعند زروق أن الخلق هـ وهيئة راسخة في النفس تنشأ عنها الأمور بسهولة،اما حسنة أ وقبيحة.ويمتح فكر أحمد زروق الصوفي الاصيل من مشكاة الهدي النبوي القرآني الذي غرس كثيرا من القيم والآداب حتى مع المخالف والمسيئ لك، فأمرالمسلم بالعف ووالصفح والدفع، وعلى هذا الهدي سار أحمد زروق في تعامله مع خصوصمه، والمخافلين له معضضا ذلك بقاعدة أساسية وهي أن " دفع الشر بمثله مثير لما هـ وأعظم منه عند ذوي النفوس الضعيفة . ومن ثم وجب الدفع بالتي هي احسن لمن يقبل بالاحسان استنادا لقوله تعالى (ولا تست والحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه

---

[8] سورة إبراهيم، الآية 7

[9] سورة النحل الآية 126

عداوة كأنه ولي حميم)[10]، ومن لا قبل له بالاحسان فمقابلته بالاعراض عنه طبقا للآية (خذ العفووامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)[11].

- **الصنف الثاني:**

وعالج أحمد زروق في هذا الباب من فكره جملة من الانحرافات والانزلاقات والاختلالات التي كان يعرفها عصره، وبين أصلها حتى لدى أهل التصوف، ودون ذلك في مذكرات ورسائل .

ومما عالجه في هذا الاطار أوضاع المتفقرة والزوايا، حيث وقف على كثير من الانحرافات في مبادئها وسلوكها.وصوب سهمه نح والفكر الصوفي الباطني حيث توجه بسهام النقد لهؤلاء الذين لم يرق فهمهم له الى مقولات رواده كابن عربي وابن سبعين فحرفوا فيها وانحرفوا .

كما ندد بهؤلاء المنحرفين وبغيرهم من أولئك المدعين برؤية الخضر وحاملي شعرات التفقر رياء، وآخرين منهم ممن كانوا يرددون كثير من الخيالات والدعاوى الشيطانية . وبصورة عامة سلط أحمد زروق جام نقده على كل الذين اتخذوا من التصوف والتفقر وسيلة لغير غاية نزيهة، وكذا الذين جهلوا حقائق التصوف وبواطنه، فضلوا وأضلوا خلقا ونفرا من عباد الله.

- **الصنف الثالث:**

وعرض أحمد زروق في هذا الباب أ وهذا الصنف من فكره كثيرا من القضايا والمسائل من ذلك مسألة السماع، فقد أشار إلى شروطه الثلاثة من خل والمعارض الشرعي كاجتماع من لا ترضى حاله، وكون المسموع مما يقع به تنبيه أ وإرشاد أ واستراحة من الجهد،وخل والسماع من الآلة.

ومن القضايا التي عرض لها قضية تغيير المنكر في عصره حيث لم ير من بد في أن اقتصار المرء على الإنكار على عياله وخاصته بقدر ما يقتضيه العرف حتى لا يثير ذلك غضب المسؤولين. ورأيه في هذه القضية لا يخل ومن شدة تأثره بنوائب حدثت في وقته، وكان لها أثرها الواضح عليه

كما أثار في موطن آخر مسائل، منها ما تتعلق بعامة الناس ومنها ما تتعلق بخاصتهم، وكلها مسائل معللة بآراء فقهية سديدة الإصابة.

وإذا جاز لنا تلخيص أهم أسس طريقة الرجل فأمكننا أن نشير الى ما يأتي :

1 – اعتماده مطلقا على الكتاب والسنة.

2– اعتدال رأيه في الدين والدنيا.

3 – احترامه فكر الآخر في مجال التصوف، مع ابتعاده عن الغل ووأصحابه.

4– ممارسته التصوف والمريدية أ والارادة في ج ونظيف خال من الابتزاز والتشويه.

---

[10] سورة فصلت الآية 34

[11] سورة الأعراف، الآية 199

5- صلاته على الرسول ضرورة في الأذكار، لأن الأذكار تثير حرارة الطبع، والصلاة على الرسول تذهب وهج الطباع)[12].

حديث عام عن مقاصد الشريعة:

نبدأ هذا الأمر بالاشارة أولا للجانب التعريفي لمصطلح:" مقاصد الشريعة"

أ- المقاصد: لغة

فأما كلمة المقاصد فهي جمع مقصد وه ومشتق من فعل قصد، والقصد في اللغة له معان متعددة نقتصر فيها على أربعة :

الاستقامة والاعتدال"[13]

الكسر والقسر"[14]

الاكتناز والامتلاء" [15]

النية "[16]

الأمّ والتوجه نح والشيئ."[17]

وجاء في لسان العرب أن أصل " ق ص د" ومواقعها في كلام العرب : الاعتزام والتوجه والنهود والنهوض نح والشيء على اعتدال كان ذلك أ وجور، هذا أصله في الحقيقة، وان كان يخص في بعض المواضيع بقصد الاستقامة دون الميل."[18]

---

[12] المدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 15/9ص 193/192

[13] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن تحقيق نديم مرعشلي، دار الفكر، - قصد-

[14] أحمد بن فارس،مقاييس اللغة تحقيق عبد السلام هارون . ط2 1390هـ /1970م القاهرة - قصد -

[15] المصدر نفسه

[16] الفيروز أبادي، القاموس المحيط دار الفكر بيروت 1983/1403 - نوى -

[17] معجم المقاييس - قصد-

[18] ابن منظور، لسان العرب -دار صادر، بيروت، 1417هـ/ 1997م. - قصد-

اصطلاحا:

ومقاصد الشارع هي المعاني والغايات والآثار والنتائج التي يتعلق بها الخطاب الشرعي والتكليف الشرعي، ويريد من المكلفين السعي والوصول اليه."[19] ويمكن النظر الى المقاصد باعتبارين"[20]: الأول باعتبار نسبتها الى الشارع، والثاني باعتبار نسبتها الى المكلف، لأن مقاصد الشارع لا يمكن أن تحقق الا عبر مقاصد المكلف بشرط أن تكون الثانية موافقة للأولى."[21]

وعلى مستوى آخر يمكن النظر الى مقاصد الشارع من جهات :

أولاها من جهة عموميتها وخصوصيتها " فنجدها ثلاثة مستويات:

المستوى الأول، ويتعلق بالمقاصد العامة، وهي المقاصد التي تمت مراعاتها، وثبت ارادة تحقيقها على صعيد الشريعة كلها،أ وفي الغالب الأعم من أحكامها.

المستوى الثاني، المقاصد الخاصة: وهي المقاصد التي روعيت في مجال معين، ا وفي مجالات من الشريعة.

المستوى الثالث، المقاصد الجزئية وهي مقاصد كل حكم على حدته من أحكام الشريعة من ايجاب أ وندب أ وتحريم أ وكراهة.."[22].

– وثانيها من جهة قوتها وأثرها ودرجة توقف الحياة عليها ونجد أن هناك ثلاث درجات –كما يؤكد اكثر الأصوليين– وهي:

الدرجة الأولى: **وهي درجة المقاصد الضرورية**

الدرجة الثانية: **وهي درجة المقاصد الحاجية**

الدرجة الثالثة: **وهي درجة المقاصد التحسينية .**

– وثالثها من جهاتها المادية والمعنوية والدنوية والاخروية، وفيها أيضا كلام طويل.

ويشير الدكتور أحمد الريسوني تحت عنوان "مقاصد اجمالية ومقاصد تفصيلية" الى تقسيم آخر للمقاصد فيذكر أن " للشريعة مقاصدها من حيث الجملة، حيث نقول : ان الشريعة برمتها وفي أصلها وأساسها أنزلت لغاية كذا، ولمقاصد كذا وكذا.وان الله تعالى وضع شرائعه، أ وأنزل كتبه أ وأرسل رسله من أجل كذا ولمقصد كذا..، ففي هذه الحالة نكون متحدثين عن المقاصد الاجمالية..ثم داخل هذه المقاصد العامة، وفي ثنايا الأحكام التفصيلية للشريعة يمكننا البحث والتحدث عن مقاصد كل حكم من الاحكام.. كما أن المقاصد العامة الكلية من جهة، والمقاصد الجزئية التفصيلية من جهة ثانية لا تمنع من وجود مقاصد وسيطة لا هي بالعامة الشاملة ولا هي بالجزئية المحصورة في حكم واحد أ وبضعة أحكام في

---

[19] المصدر نفسه

[20] أب وإسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان،ج2 ص 3

[21] المصدر السابق، ج2 ص251

[22] أحمد الريسوني، مدخل إلى مقاصد الشريعة، مطبعة التوفيق، ط 2 سنة 1417هـ/ 1997مـ، ص 7

مسألة واحدة." 23 ويتابع شرحه لأنواع من هذه المقاصد بذكر بعض الامثلة من ذلك قوله: " واذا وجدنا النبي صلى الله عليه وسلم يحث مريد الزواج أن ينظر الى من يريد الزواج بها ويصرح بحكمة ذلك ومقصوده، وه وأن يبني الزواج على ميل ورغبة، فان هذا يعد مقصدا جزئيا يتعلق بحكم النظر الى المخطوبة، ويخدم العلاقة بين الزوج وزوجته،وكذا ل وقلنا : ان مقصود الآذان هـ واعلام أهل البلدة بدخول وقت الصلاة ودعوتهم اليها، وأن مقصود الاقامة هـ ودعوة الحاضرين للصلاة للقيام اليها والدخول فيها، فهذه وأمثالها مقاصد جزئية لأحكام جزئية. وبين هذه وتلك نستطيع أن نبحث ونتحدث عن المقاصد الخاصة بالمجالات والابواب التشريعية، بناء على ما لها من خصوصيات، فنتحدث عن مقاصد الشريعة في العبادات، في المعاملات المالية،في العلاقات الاجتماعية، في العادات، في المناقصات، في المناحات.."24 وفي هذا الباب أيضا أمكننا ان نتحدث عن مقاصد الشريعة في التصوف، وفيه نلفي كثير من اهله متأثرين بهذا العلم، وعاكسين كثير من مبادئه فيما تعرض عليهم من عوارض هذا الطريق، ومن هؤلاء شيخنا أحمد زروق.

ب- الشريعة

لغة :

الشريعة في اللغة"25 من شرع المنزل: صار على طريق نافذ. وشرع الشيء: رفعه جدا وأعلاه وأظهره، قال تعالى :(اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا)[26] أي شوارع ظاهرة على الماء كثيرة، وقال الليث:حيتان شرع، رافعة رؤوسها[27] وهذا يعني أنها تكون شرعا أي سهلة المنال والاصطياد. وشرع الدين سنه وبينه.وشرع الطريق : مده ومهده قال تعالى:(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) [28] مهد الشارع لهذا الدين بكونه امتدادا لما جاء به الأنبياء السابقون حتى يكون أسهل قبولا على النفوس،قال تعالى : (ملة أبيكم ابراهيم هـ وسماكم المسلمين من قبل)[29].

---

[23] المرجع السابق ص14

[24] المرجع نفسه ص 16/15

[25] القاموس المحيط ج 3ص 44

[26] سورة الأعراف، الآية 163

[27] 4 محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي . الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، ط 5، سنة 1417هـ/1996مـ بيروت،ج 7 ص 305 .

[28] سورة الشورى، الآية 13

[29] سورة الحج، الآية 78

والشارع : الطريق الأعظم وه والطريق الممدد الواسع، ومعنى ذلك أنه يسع كل المارين عليه ويكون أسهل وأيسر في العبور. والشريعة : الظاهر المستقيم من المذاهب، قال تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين يعلمون)[30] فالشريعة أقوم الأديان ذلك الدين القيم، لأنها جمعت بين المشترك بينها – الأصول – وجاءت أيسر وأبين في أحكام الفروع.

و"قيل الشريعة : مورد الابل التي لا يحتاج معها الى نزع بالدل وولا سقي فيها على الحقيقة المصدوقة روى وتطهر"[31].

اصطلاحا:

وتفيد الشريعة اصطلاحا معنى الصراط المستقيم الذي دعا الله عباده أن يسلكوه وأن ينهجوه، ولقد هدى الله عباده للصراط المستقيم بالفطرة، وهي جملة الاستعدادات التي أودعها الله في عباده ثم ببيان الدلالة .قال الله تعالى (وماكان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون)[32]. ويخبرنا تعالى عن حال من لا ينتفع بشريعته فيقول(وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم * وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون)[33].

واصطلح على الشريعة بالملة لأنها طريق ينصهر فيه كل الخلق رغم اختلاف طبائهم وعاداتهم ليتوحد مسارهم ويرتقي بهم نح ودرجات الكمال.

حديث خاص عن الفقه والتصوف:

ترجع محاولة التوحيد بين الشريعة والطريقة في أساسها الى الصراع التاريخي الذي ثار بين الفقهاء والمتصوفة، نتيجة لسوء الفهم بين الفريقين، وقد اعتاد الفقهاء في أغلبهم على الصاق تهمة افساد عقيدة المسلمين بالصوفية بادخالهم في العقيدة كثيرا من الأفكار والطقوس المجانبة لروح الاسلام أخذوها من الثقافات الاخرى . وقد ارتكز الصوفية في دفاعهم عن أنفسهم ومنطلقاتهم على القول بوجود حياة باطنية لم يكن للفقهاء أن يفهموها "[34] وللأستاذ عبد المجيد الصغير كلام نفيس في هذا الباب ضمه كتابه " اشكالية اصلاح الفكر الصوفي في القرنين 19/18، أحمد بن عجيبة ومحمد الحراق.

ولأحمد زروق موقفه التوفيقي المعروف الذي وضح من خلاله الغاية المشتركة لكل من التصوف والفقه، فالأول يهدف الى اصلاح القلب عن طريق معرفة الله المعرفة الصادقة، والثاني يتوخى اصلاح العمل عن طريق المعرفة بالأحكام الشرعية. والعلمان معا موصلان الى الله وبينهما تكامل.

---

[30] سورة الجاثية، الآية : 18

[31] معجم مفردات ألفاظ القرآن ص 265

[32] سورة التوبة، الآية ك 115

[33] سورة المؤمنون، الآية 74/73

[34] أحمد زروق والزروقية ص 199

ويتعرض أحمد زروق لهذا الأمر في كثير من مؤلفاته من ذلك نجد قوله في كتابه عدة المريد:" اعلم ان الفقه والتصوف اخوان في الدلالة على أحكام الله سبحانه، اذ حقيقة التصوف ترجع لصدق التوجه الى الله ...ثم الفقه والاصول شرط فيه والمشروط لا يصح دون شرطه، والشرط أن يكون بما يرضاه الحق..فلا تصوف الا بفقه اذ لا تعلم أحكام الله الظاهرة الا منه ولا فقه بلا تصوف، اذ لا حقيقة للعلم الا بالعمل ولا عمل الا بصدق وتوجه، ولا هما الا بالايمان اذ لا يصحان دونه فه وبمنزلة الروح وهما بمنزلة الجسد، لا ظهور له الا فيهما ولا كمال لهما الا به وهو مقام الاحسان"[35]. ويؤكد أحمد زروق بأن الفقه أعم من التصوف باعتبار الموضوع لأن التصوف يبحث علاقة الفرد بربه أما الفقه فانه يتناول صلة المخلوق بالخالق في ميدان العبادات، وعلاقة المخلوق بجنسه في المعاملات. ونظرا لاتساع الفقه ومجاله فقد صح للفقيه أن ينكر على المتصوف سلوكه بينما لا يصح أن ينكر على الفقيه بحكم أن مجاله أخص وميدانه أضيق، وعنده أن الفقيه الذي يتحول الى صوفي خير من الصوفي الذي يتعلم الفقه يقول: "حكم الفقه عام في العموم، لأن مقصده اقامة رسم الدين، ورفع مناره واظهار كلمته، وحكم التصوف خاص في الخصوص، لأنه معاملة بين العبد وربه من غير زائد على ذلك، فمن ثم صح انكار الفقيه على الصوفي، ولا يصح انكار الصوفي على الفقيه، ولزم الرجوع من التصوف الى الفقه، والاطتفاء به دونه، ولم يكف التصوف عن الفقه بل لا يصح دونه، ولا يجوز الرجوع منه اليه الا به، وان كان أعلى منه مرتبة، فه وأسلم وأعم منه مصلحة. ولذلك قيل كن فقيها صوفيا، ولا تكن صوفيا فقيها، وصوفي الفقهاء أكمل من فقيه الصوفية وأسلم، لأن صوفي الفقهاء قد تحقق بالتصوف حالا وعملا وذوقا. بخلاف فقيه الصوفية، فانه المتمكن من عمله وحاله، ولا يتم له ذلك الا بفقه صحيح وذوق صريح، ولا يصح له أحدهما دون الآخر، كالطب الذي لا يكفى علمه عن التجربة ولا العكس. فافهم"[36] .

---

[35] 1 أحمد زروق، عدة المريد الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت، مخطوط، بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1657د .ورقة 10/9

[36] 1 أحمد زروق، قواعد التصوف، تحقيق محمد زهري النجار،نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ط 3 ن سنة 1409هـ /1989م ص 16/15.

مقارنة زروق بين المعرفة الفقهية والمعرفة الصوفية:

لا أحد يهب المعرفة الصوفية بل طالبها وسالكها لابد له من أن يجتهد في تحصيلها في مظانها، فكما يلتمس الفقه عند الفقهاء، ويطلب من مصنفاتهم، فكذلك الموارد فلا يمكن أن يأخذ عنها المعرفة الصوفية في رأي أحمد زروق" الا من أحد طرق ثلاثة :

أولا: العمل بما علم الانسان قدر الاستطاعة،

وثانيا: الالتجاء الى الله في الفتح على قدر الهمة،

وثالثا: اطلاق النظر في المعاني حال الرجوع لأصل السنة ليجري الفهم، وينتفي الخطأ ويتيسر الفتح."[37]

وقد دعم هذه الآراء بمقالة الجنيد : "ما أخذنا التصوف عن القيل والقال والمراء والجدال، وانما أخذناه عن الجوع والسهر وملازمة الأعمال"[38]، وقال أب وسليمان الداراني : اذا اعتقدت النفوس ترك الآثام جالت في الملكوت، ورجعت الى صاحبها بطرائق الحكمة من غير أن يؤدي اليها علما."[39] فالمعرفة الصوفية تشبه الى حد كبير المعرفة الفلسفية التي لا تعتمد على المحفوظات بقدر ما تركز على اجالة الفكر في الظواهر المراد دراستها،هذا ما يمكن استخلاصه من الوسائل الثلاثة التي وضعها أحمد زروق أساسا لتحصيل المعرفة الصوفية . أما المعرفة الفقهية فانها لا تأتي عن طريق التعلم والأخذ عن الأساتذة وحملة العلم كما قد يحصل مع المعرفة الصوفية اذ تتاتى بوجود شيخ أ ومربي، بهذا تختلف هذه عن تلك من حيث المصدر. يقول أحمد زروق في هذا الاطار: "لا علم الا بتعلم عن الشارع أ ومن ناب منابه فيما أتى به اذ قال عليه السلام : انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم، ومن طلب الخير يؤته، ومن يتق الشر يوقه."[40]

مقاصد الشريعة في الخطاب الصوفي

ان مقاصد الشريعة في التصوف الاسلامي هي جملة الغايات التي يتغياها المتصوف من تصوفه، ودائرتها قائمة على تهذيب أخلاق المريد، وتزكية نفسه، تزكية ترفعه عن التعلق بالعالم الدنيوي الى ما هـ وأصل الكون كله.تزكية تسم وبه الى أعلى درجة من درجات القربى من الله، و**هذه أجل غايات المتصوف، يقول أحمد زروق : ".. وسمت الهمم بقوم فأحبوا أن يحققوا هذا – المنتهى– شهادة كما حققوها ايمانا واعتقادا، لقد أرادوا أن يحققوا – أشهد أن لا اله الله– أرادوا أن يحققوها في صورة صادقة، يحققوها واقعا كما حققوها ايمانا، لقد أرادوا أن يشهدوا شهادة صادقة فأخذوا في الطريق اليها.**

---

[37] قواعد التصوف، ص 13

[38] لمرجع نفسه ص 14

[39] نفسه

[40] نفسه

لقد أخذوا يجتازون منازل الأرواح، مدارج السالكين..منازل الطائرين، معارج القدس، لقد ساروا في المقامات مبتدئين بالتوبة الخالصة النصوح، تتفجر في قلوبهم أنوار الأحوال متدرجة بهم من مقام الى مقام، ومن منزلة سامية الى منزلة أسمى، ومن مقام شريف الى مقام أشرف، حتى أصبحوا بقلوبهم وبأرواحهم في رحاب الحبيب، مع الحبيب.."[41]

ومقاصد الطريقة كما يؤكدها ويحث عليها أهل التصوف معناها ومبناها وأساسها تخلية الانسان قبل تحليته، تخلية نفسه وتنقيتها ثم وصلها بخالقها وبارئها مباشرة بلا واسطة.

هذه أجلى صورة لمقاصد الشريعة في الخطاب الصوفي، ويزداد جلاؤها اذا وقفنا عند أهم تعاريف أحمد زروق للطريقة . يقول في هذا الباب في نص طويل من كتاب شرح حكم عطاء الله : " وقد ذكرنا في بعضها مقدمة تحتوي على تعريف الطريقة وما تبنى عليه من حق وحقيقة . وذكرنا فيها عشرة أشياء :

-أحدها : **ان حقيقة التصوف ترجع لصدق التوجه الى الله تعالى من حيث يرضى بما يرضى.**

ويشرح المحقق هذا الأمر فيقول :يريد بهذا أن التصوف مبني أساسا وغاية على التعاليم الالهية، وهذا رأي جميع الصوفية الصادقين . قال أب وزيد البسطمي لأحد جلسائه " قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذي شهد بنفسه بالولاية- وكان رجلا مشهورا بالزهد – فمضينا اليه، فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببصاقه تجاه القبلة، فانصرف أب وزيد ولم يسلم عليه، وقال : هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه؟..

- الثاني: **ان مداره على افراد القلب والقلب لله وحده.**

-الثالث : **أنه من الدين بمنزلة الروح من الجسد، والفقه جسده اذ لا ظهور له الا فيه، كما لا قيام له الا به.**

-الرابع: **أن نظر الصوفي في وجوه الكمال والنقص. والفقيه فيما يسقط به الحرج، والأصولي فيما يصح به الايمان ويثبت.**

-الخامس : **ان نظر الصوفي أخص من نظر الفقيه والأصولي، فلذلك صح انكارهما عليه ولا يصح انكاره على واحد منهما وصوفي الفقهاء خير من فقيه الصوفية.**

-السادس: **اظهار شرف التصوف ودليله برهانا ونصا.**

-السابع : **أن الفقه شرط صحة التصوف، فلذلك قدم عليه، والعمل ليس شرط صحة، بل كمال لا يترك لأجل فقده.**

- الثامن: **ذكر الاصطلاح واختصاصه بكل فن على حسبه.**

---

[41] أحمد زروق، شرح حكم ابن عطاء الله، تح عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، نشر مكتبة النجاح طرابلس ص 8.

-التاسع : **مفاتيح الفتح فيه أربعة: احكام العبادة، وصدق الرغبة في الوصول، والتشوف للحقائق، وعدم التقيد بالتقول مع التحقيق.**

- العاشر : **انه طريق غريب عجيب، ومعناه على اتباع الأحسن أبدا، فمن العقائد على اتباع السلف،ومن الأحكام على الفقه، ومن الفضائل على مذهب المحدثين، ومن الآداب على مابه صلاح قلوبهم عزيمة أ ورخصة، مباحا ا وصريحا أ وشبهة، مالم تق وجدا، ا وتكون مائلة لجانب الظلمة، ولذا قالوا بأشياء أنكرها عليهم من لم يعرف مقصدهم، وآثرها من دخل الطريق بالجهل فهلك فيها، فنسأل الله العافية بمنه."**[42]

ملاحظات أولية حول مقاصد الشريعة عند أحمد زروق

حين يدلف الباحث في مجال مقاصد الشريعة باحة عالم من علماء الأمة ا وفقيه من فقهائها بحثا عن عناية هذا أ وذلك بمجال مقاصد الشريعة أ ومجال حضور الفكر المقاصدي في خطابه، فدائما مايشار الى اسهامات هذا أ وذاك في مؤلفين أ وثلاث لها ارتباط وثيق بمجال أصول الفقه أ وبمجال قريب منه.

ولعل السبب يعود فيما يبد ولعاملين اثنين:

أولهما : **ما درج عليه الأصوليون من حيث كان ويلحقون مقاصد الشريعة والفكر المقاصدي بمباحث أصول الفقه، فكان من البديهي أن يلجأ الباحثون في مجال مقاصد الشريعة لكتب هذا العالم ا والفقيه في ذلك المجال دون سواه.**

ثانيهما : **أن عطاءات ذلك العالم ا والفقيه في المجالين المذكورين تكون أكثر ظهورا وبروزا في مصنفاته تلك، ومن هنا فهي تستقطب اهتمام الباحثين دون غيرها.**

وهذا الأمر لا يمكن تطبيقه عند دراسة مقاصد الشريعة أ وحضور الفكر المقاصدي في الخطاب الصوفي عند شيخنا أحمد زروق، فالاعتناء بمؤلف واحد من مؤلفاته كما هـ والحال عند فقيه أ وعالم لا يسعف على ايجاد المبتغى، بل الحال يقتضي البحث والتنقيب في مجموع مؤلفاته وتصانيفه حتى يتحقق الظفر برؤية متكاملة عن عناية واهتمام شيخنا بهذا المجال .

وان لم يسعفني الوقت للرجوع لجميع كتبه لاستنباط تلك الرؤية كاملة، فقد عمدت لبعضها فتصفحتها، ودققت النظر في أعطافها ومطاويها وأحنائها، فألفيت اهتماما معتبرا من الشيخ أحمد زروق بمجال مقاصد الشريعة وحضورملفتا لفكر مقاصدي . وقبل أن أعرض لكل ذلك لا بأس أن ادلي ببعض الملاحظات وهي ثلاث :

الملاحظة الأولى وهي: **أن الكثير من الاشارات المتعلقة بمقاصد الشريعة أ وبالفكر المقاصدي مما أشار اليها شيخنا أحمد زروق نجدها مبثوتة في كتب الأصوليين، ول وأنك طفقت تقرؤها عند أصولي**

[42] شرح حكم ابن عطاء الله ص 29/27

كالامام الشاطبي لوجدت بينه وبين شيخنا شبه قوي. وهذا ان دل عن شيئ فانما يدل على احاطة ودراية شيخنا أحمد زروق بعلم الشريعة وتمكنه من كثير من العلوم المحيطة بها ومن أهمها علم أصول الفقه. ومما زاده تمكنا أيضا كونه كان يتوفر على"..حساسية مرهفة، وتذوق لكلام القوم يشهد به تنزيله للنصوص وتعقبه لما فيه من مآخذ وطرحه للحش وواهتباله بالجواهر دون الأعراض فضلا عن وزنه للخواطر بميزان الشرع وأخذه بالحيطة في مجال القول والعمل. وانما أعانه على ذلك تمكنه من العلوم العقلية والنقلية، وسلوكه للطريق سلوك الحذر اليقظ الذي أخذ الأهبة لكل طارئ، واستعد لكل ما يفاجئ، فلم يكن وصوله للحقيقة عن ظن وتخمين بل عن طريق المعرفة واليقين."[43]

الملاحظة الثانية وهي : **أحمد زروق لم يضع نظرية في مقاصد الشريعة بما تحمله كلمة نظرية من معنى،ولكن اذا تصفحنا كثيرا من تآليفه وتصانيفه وبخاصة المؤلفين الذين اعتمدناهما – قواعد التصوف وكتاب شرح حكم ابن عطاء الله – ناظرين اليهما نظرة عميقة فلا يبقى لدينا أدنى شك أن شيخنا قد بث أطراف هذه النظرية في ثنايا وحنايا هذه الكتب.**

الملاحظة الثالثة: **وهي أن أحمد زروق شكلت مصادر الشريعة لديه وعلى رأسها الكتاب والسنة أهم مصدر كان يستقي فكره منها، ويخال المتتبع لفكره وكأنه أمام فقيه وليس أمام متصوف، يعزز كثيرا من آرائه وأحكامه بشواهد عدة من كتاب الله وسنة نبيه وشواهد من أقوال الصحابة .**

المبحث الثاني : ملامح الفكر المقاصدي عند الشيخ أحمد زروق .

ويسعفنا في الوصول لأطراف من فكره المقاصدي أن نعمد لاشارات هامة ما فتئ أحمد زروق يؤكدها في أكثر من موضع، ويمكن أن نجملها في ثلاثة أمور، وهي:

الامر الأول: **افراده الحديث عن العبادة والعبودية.**

الأمر الثاني: **بيانه لأحكام الشريعة.**

الامر الثالث: **بيانه لمقاصد المكلف.**

1- افراده الحديث عن العبادة والعبودية:

فبيانه ما ذكره أحمد زروق في القاعدة رقم 90 اذ يقول في العبادة "العبادة: اقامة ما طلب شرعا من الأعمال الخارجة عن العبادة، أ والداخلة سواء كان رخصة أ وعزيمة، اذ أمر الله فيهما واحد.."[44]

وفي معناها يذكر أحمد زروق أن أولى ما نرجع به الى الله ما جاءنا عن الله والذي هـ وطالبه منك وه وثلاث :

---

[43] عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب- أحمد زروق- دار الكتاب اللبناني، ص 19/18

[44] قواعد التصوف ص 54

التخلي عن كل شيئ الا عنه

والتحلي بما يرضيه عنك، ويردك اليه

والدوام على ذلك حتى تلقاه بلا فترة ولا تقصير، ويعبر عن ذلك باحدى عبارات ثلاث:

الطاعة والغنى به عنها، والصدق في العبودية، والقيام بحقوق الربوبية، والمتثال لأمره، والاستسلام لقهره.."[45]

ويدلف الحديث عن الصدق في العبودية :فيقول من المؤلف نفسه : " والصدق في العبودية بالتزام أحكامها في كل ورد وصدر هـ وعين القيام بحقوق الربوبية، ومداره في أمور ثلاث :

- التشمير للحقوق،

- والاعراض عن كل مخلوق،

- والاستسلام تحت جريان المقادير والاحكام،

وقد يعبر عنه بامتثال أمره والاستسلام لقهره،ا ويعبر عنه بالطاعة والغناء به عنها، فكل صحيح واضح مليح والله أعلم..."[46]

ويعرض احمد زروق لأمر العبودية في موضع آخرأثناء حديثه عن اجابة الله لعباده فيقول:

"انما جعل الاجابة فيما اختاره تعالى عينا ووقتا لوجوه ثلاثة:

-أحدها رفقا بعبده وعناية، لأنه كريم، رحيم عليم، والكريم اذا سأله من يعز عليه أعطاه أفضل ما علمه له، والعبد جاهل بالصلاح والأصلح، فقد يحب الشيء وه وشر له، ويكره الشيئ وه وخير له .

-الثاني: لأن ذلك أبقى لأحكام العبودية في نظر العبد وأقوى في ظهور سطوة االعبودية، اذ ل وكانت الاجابة بالدعاء على وفق المراد، حتما لكان نفس دعائه تحكما على الله، وذلك باطل، فافهم.

-الثالث: لأن الدعاء عبودية سرها اظهار الفاقة، ول وكانت الاجابة بعين المراد حتما لما صحت فاقة في عين الطلب، فبطل سر التكليف به، ومعنى الاضطرار المطلوب فيه، فافهم."[47]

2- بيانه لأحكام الشريعة :

لم يغفل أحمد زروق أن بعض العبادات التي شرعها الله لعباده أحكام كثير منها تتأرجح بين التعليل والتعبد ومن أهم العبادات الصلاة، ففي أكثر من مكان يجري ذكرها، فمثلا يذكرها في شرح حكمة عطائية فيقول : لتكون همتك اقامة الصلاة، لا وجود الصلاة، قلت لأن ذلك هـ والمقصود منك، اذ ل وكان المقصود الوجود ما كان حجر ولا غيره، واقامة الصلاة : القيام بحقوقها، وحدودها الشرطية والكمالية، بقدر الطاقة، فان ذلك يختلف باختلاف الناس، فما كل مصل مقيم، قلت: ولا كل مقيم مقيم،

---

[45] حكم ابن عطاء الله ص 168

[46] المرجع نفسه

[47] حكم ابن عطاء الله ص 43/24

ولا كل عامل مستقيم، قال القاضي أب وبكر العربي رضي الله عنه في قول عمر رضي الله عنه" من حفظها وحافظ عليها " ولقد رأيت من يحافظ عليها آلاف لا أحصيها، فأما من يحفظها بالخشوع والاقبال فما أعد منهم خمسة.."[48]

وفي هذا الباب أشار أحمد زروق الى وسطية الشريعة، وأثبت أن جميع المكلفين يدخلون تحت قانونها، وجميع عباد الله لا بد أن يحرصوا على هذه الوسطية، ويبتعدوا عن التشدد لأنه مما تنهى عنه شريعة الاسلام السمحة وتقر بدله منهج التوسط والاعتدال، يقول أحمد زروق في هذا الصدد: " التشديد في العبادة منهى عنه، كالتراخي عنها.والتوسط : أخذ بالطرفين، فه وأحسن الأمور كما جاء : خير الأمور أوسطها (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا)[49] .

قال عليه السلام (أما أنا فأقوم وأنام، وأصوم وأفطر...) وكذلك رد عبد الله بن عمر للوسط بصيام الدهر وقيام نصف الليل، وختم القرآن في سبع الى غير ذلك، فلزم التوسط في كل مكتسب، لأنه أرفق بالنفس، وأبقى للعبادة."50

3-بيانه مقاصد المكلف: **فكما يؤكد علماء مقاصد الشريعة فمقاصد الشارع لا تتم ولا تتحقق الا بتصحيح مقاصد المكلف، ولقد كانت عناية أحمد زروق بهذا الامر من وجهين:**

االوجه الأول : **اعتبار النية في الأعمال .**

الوجه الثاني : **اخلاص النية لله عز وجل .**

وهذان العنصران هما من صميم الموضوع – كما يذكر الدكتورأحمد الريوسوني-(تكلم عنه علماء التوحيد، وعلماء التربية، ا والتخلق، وعلماء الفقه تحت باب النية، واعتنوا به العناية اللازمة، حتى قال ابن أبي جمرة الأندلسي المالكي:وددت ل وكان من الفقهاء من ليس له شغل الا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم، ويقعد الى التدريس في أعمال النيات ليس الا، فانه ما يأتي على كثير من الناس الا من تضييع ذلك.ولا شك أن الشاطبي قد استفاد مما كتبه العلماء في هذا الموضوع نفسه) [51] وكذلك شيخنا أحمد زروق فقد أشار لهما كما أسلفت الذكر من وجهين.

---

[48] المرجع السابق ص 219/218

[49] سورة الفرقان، الآية 67

[50] حكم ابن عطاء الله ص 56

[51] 1أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي،م المعهد العالمي للفكر الإسلامي،1416ه/1995م، ص342/341

1- اعتبار النية في الأعمال

فمما جاء عنه بالنسبة لاعتبار النية في الأعمال قوله في توطئة لحكمة من حكم عطاء الله: "ثم كمال الأعمال انما هـ وبالاخلاص، وه وقلبي، وذلك يقتضي عدم المبالات بها اذا عدمت لأجله، وه وما أشار اليه المؤلف –ابن عطاء الله– اذ قال : الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الاخلاص فيها. قلت: ولا عبرة بصورة لا روح فيها، كما أنه لا قيام لروح دون صورتها. ويحتمل قوله "سر الاخلاص" أن يكون من اضافة الشيء الى نفسه، فالمراد، السر الذي هو الاخلاص، ويحتمل أن يكون ما هو أخص منه وهو الصدق المعبر عنه بالتبري من الحول والقوة، وكلاهما مطلوب: الاخلاص لنفي الرياء، والصدق لنفي العجب، وكلاهما لا كمال للعمل به فلذلك قال بعض المشايخ رحمهم الله : صحح عملك بالاخلاص، وصحح اخلاصك بالتبري من الحول والقوة."[52]

2- اخلاص النية لله عز وجل.

وهذا الوجه متعلق بسابقه بل متعلقان ببعضهما البعض ولا انفكاك لأحدهما عن الآخر . ويتعرض أحمد زروق لهذا الوجه أي اخلاص النية لله عز وجل في أماكن مختلفة من كتبه، نعرض لبعضها، من ذلك اشارته لها أثناء شرحه لحكمة عطائية " ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول، وباب القبول ثلاثة أمور :

أحدها : **التقوى، فكل عمل لا تقوى معه تعب لا فائدة له، الا ما يرجى من أنس النفس به ليسهل عليها عند تلبس التقوى .**

الثاني : **وه والاخلاص، اذ لا يقبل الا ما أريد به وجهه لحديث قدسي عن رسول الله – أنا أغنى الشركاء عن الشرك ومن عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشريكه...**

الثالث : **اتقانه بالسنة واتباع الحق، اذ لا يقبل الله عمل عامل الا بالصدق واتباع الحق."[53]**

ولا يفوت أحمد زروق ان يذكر انواع الاخلاص رواية عن بعض شيوخه، يقول: " قال الشيخ أب وطالب المكي رضي الله عنه والاخلاص عند المخلصين : اخراج الخلق من معاملة الحق، وأول الخلق النفس .

والاخلاص عند المحبين : ان لا يعمل عملا لأجل النفس، والا دخل عليه مطالعة عوض أوميل الى حفظ نفس.

والاخلاص عند الموحدين : خروج الخلق من معاملة الحق من النظر اليهم في الأفعال وعدم السكون اليهم والاستراحة بهم في الأحوال."[54]

حكم ابن عطاء الله ص 49/ 50

[53] المرجع السابق ص 196

وهناك أسباب موصلة للاخلاص يذكرها أحمد زروق تتمة لبيانه لمعنى الاخلاص فيقول:" ثم ان الموصل للاخلاص، وتحقيق الخمول انما هـ والعلم الوافي عن الفكر الصافي، ومقدمته انما هي العزلة ثم الخلوة فلذلك اتبعها به فقال : ما ينفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة. قلت لأنه بالعزلة يسلم من الأغيار،وبالفكرة يستجلي الأنوار، وكل عزلة لا تصحبها فكرة فالى المحق مآلها، والفكرة لا تصح بدون العزلة، فالعزلة منزلة الفكرة، وفي بيته يؤتى الحكم، ثم العزلة بالانفراد بالحال حقيقة، وبالانفراد بالشخص مجاز والله أعلم."[55]

وما توفر الاخلاص في عمل من أعمال المرئ فلا يضر اخفاء هذا العمل أ واظهاره يقول أحمد زروق:" اظهار العمل واخفاؤه،عند تحقق الاخلاص، مستو، وقبل وجود تحققه، مقر لرؤية الخلق. وقد جاء طلبه شرعا، من غير اشعار بشيء من وجوه الاخلاص، ولا الرياء."[56]

المبحث الثالث: قواعد الفكر المقاصدي في خطاب أحمد زروق.

ليست مقاصد الشريعة كما يقول أهل المقاصد " مجرد حصيلة معرفية تشبع نهمنا في فهم الشريعة وأهدافها ومراميها، وتشحن رصيدنا المعرفي بثروة من الحكم والمقاصد العامة والخاصة، الكلية والجزئية للشريعة الاسلامية، بل هي الى هذا كله تنشئ نمطا في الفهم والتصورللأمو، وتعطي منهجا في النظر والتفكير"[57]، وهو هذا الذي نجد جزءا كبيرا منه عند أحمد زروق مبنيا ومؤسسا على مبادئ وقواعد مقاصدية منهجية سنجلي بعض منها.

من هذه القواعد :

قاعدة : جلب المصلحة ودرء المفسدة

وهي قاعدة أصولية عظيمة بدأ الفقهاء الحديث عنها بتعريفهم للمصلحة والمفسدة، ومما لا شك فيه أن مسمى المصلحة والمفسدة عند جميع العلماء المسلمين مصالح الدنيا ومصالح الآخرة "ومن البداهة أن المصلحة الآخرة أ ومصالح الآخرة هي كل ما يجلب رضوان الله ونعيمه أ ويزيد في درجتهما، وأن مفاسد الآخرة هي كل ما يجلب سخط الله وعذابه أ ويزيد في درجتهما أ ولنقل على الأصح: مصلحة الآخرة هي رضوان الله ونعيمه، ومفسدتها هي سخط الله وعذابه، وانما اعتبر ما يجلبهما مصلحة ومفسدة من باب اعطاء الوسائل حكم المقاصد، واعطاء الأسباب حكم مسبباتها،"[58]

---

[54] نفسه ص 51

[55] حكم ابن عطاء الله ص 53

[56] قواعد التصوف ص 111

[57] أحمد الريسوني، الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، دار الهادي،ط 1 1424هـ/2003مـ، ص 33

[58] نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ص 256/255

وفي كتب أصول الفقه شرح مستفيض عن ما يقصد بالمصلحة وما يقصد بالمضرة، لكن ما يهمنا في هذا المستوى هـ وحديثهم عن القاعدة الأصولية : درء المفسدة أولى من جلب المصلحة.

وهي كما ذكرت قاعدة عظيمة وجدت أحمد زروق يؤسس عليها قولا بليغا فيقول: "قد يباح الممنوع، لتوقع ما هـ وأعظم منه، كالكذب في الجهاد لتفريق كلمة الكفار، والاصلاح بين الناس للخير، وفي ستر مال مسلم أ وعرضه ول ونفسه اذا سئل عن معصية عملها، أ ومال لأريد غصبه منه،ا ومن غيره لأن مفسدة الصدق أعظم من ذلك، وللزوجة والولد خوف نفورهما، وبالجملة فيسوغ لدفع مفسدة أعظم لا لجلب مصلحة.وكذلك الغيبة في التحذير والاستفتاء ونحوه مما ذكره الأئمة."[59]

قاعدة : الضرورة تقدر بقدرها.

قال الجرجاني: الضرورة مشتقة من الضرر، وهوالنازل بما لا مدفع له، وللضرورة تعاريف متقاربة المعنى عند أسلافنا الفقهاء، منها ما ذكره أب وبكر الجصاص عند الكلام عن المخمصة فقال: الضرورة : هي خوف الضرر أ والهلاك على النفس أ وبعض الأعضاء بترك الأكل، وعرفها الزركشي والسيوطي فقالا:هي بلوغه حدا ان لم يتناول الممنوع هلك أ وقارب، كالمضطر للأكل واللبس، بحيث ل وبقي جائعا أ وعريانا لمات أ وتلف منه عضو." [60]

وقال المالكية : **الضرورة هي الخوف على النفس من الهلاك علما أ وظنا، ا وهي خوف الموت، ولا يشترط أن يصبر حتى يشرف على الموت انما يكفي حصول الخوف من الهلاك ول وظنا، وهناك تعاريف أخرى استفاض في تبيانها الفقهاء، كما أشاروا بغير قليل من الكلام لحالات الضرورة وضوابطها، وأنواعها...لكن أهم ما لفت انتباهي هـ وتقييدهم لها، وعلى ذلك نبه شيخنا أحمد زروق في كتاب القواعد اذ قال في القاعدة رقم 134:"ما أبيح للضرورة قيد بقدرها، أ وروعي فيه شرطه، صحة وكمالا ومن ذلك السماع والضرورة الداعية له ثلاثة:**

أولها : **تحريك القلب، ليعلم ما فيه بمثيره، وقد يكتفى عن هذا بمطالعة وجوب الترغيب والترهيب، ومفاوضة أخ أ وشيخ.**

الثاني: **الرفق بالبدن بارجاعه للاحساس- حتى لا يهلك بما يرد عليه من قوى الواردات.**

الثالث : **التنازل للمريدين حتى تتفرغ قلوبهم لقبول الحق في قالب الباطل اذ ليس لهم قدرة على قبول الحق من وجهه بلا واسطة .."[61]**

---

[59] قواعد التصوف ص 61

[60] **2 وهبة الزحيلي، نظرية الضرورة الشرعية مقارنة مع القانون الوضعي، مؤسسة الرسالة ط3،سنة 1982/1402م، ص 67/66**

[61] قواعد التصوف ص 84

الخـاتمة:

إن البـحث المتواضع الذي قدمتـه بين دفتـي هذا الكتـاب مـايزال فـي نفسـي منـه شـيء، فكل مـا عرضته، وما نبشت فيه لم يكن – في نظري – الا جزءا يسيرا مما يطرحه البحث . وقد لا أكون مغاليا اذا قلت: ان موضوع مقاصد الشريعة والفكر المقاصدي على وجه التحديد في الخطاب الصـوفي يستحق أن يبحث فيه نفر من الباحثين وما يستطيعوا أن يظفروا الا بنزر قليل مما هـ ومختبئ في أحشائه.

ولعلـي أقـر اقرارا بـأني لـم أقل شيئا فيمـا يتعلـق بالقضـايا الكبرى التـي يطرحهـا الموضـوع، لكـن جولتي البسيطة في ضفافه مكنتني من الخلوص الى نتائج أذكر منها:

1- أن الشيخ أحمد زروق هـ وبحق قد أصل لمفهوم المقاصد في الخطاب الصوفي.

2- أن كتابه قواعد التصوف هـ وأول تأسيس لما يمكن أن نصطلح عليه بالقاعدة الصوفية على غرار القاعدة الفقهية.

3- أن بصمات الفكر المقاصدي باديـة فـي متن مؤلفات شيخنا أحمد زروق بل كانـت موجهـة لكثير من تأملاته، لجملة من القضايا والاشكالات التي زخر بها الخطاب الصوفي.

4- أن أحمـد زروق بفكره المقاصـدي قـد أحـدث منعطفـا معرفيـا وفكريـا فـي التصـوف الاسـلامي خلال المرحلة التي عاشها وما بعدها.

5- أن تـأثير الفكر المقاصدي الـذي تميـز بـه الخطـاب الصوفي عنـد أحمـد زروق قـد قطـع مـع جملة من الانحرافات والشوائب التي بصمت مرحلة من عمر التصوف الاسلامي.

هذه فقط جملة من النتـائج المتواضـعة التـي تمكنـت مـن التقاطهـا أثنـاء رحلتـي القصـيرة مـع هـذا البحث، ولـي أمـل أن أوسـع النظر فيهـا وفـي غيرهـا مـن القضـايا فيمـا بعد، مـا وسـعني الجهـد والطاقـة لذلك.

أسأل الله العلي القدير أن يوفقني لذلك والحمد لله رب العالمين.

" قائمة المصادر والمراجع"

1- القرآن الكريم

2- الناصري، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى. ط، دار الكتاب. الدار البيضاء 1956/1954مـ.

3- ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ. ط، دار الرشاد . الدار البيضاء

4- محمد الصمدي، الشيخ أحمد رزوق وطريقته الزروقية بالمغرب، ر،د،د،العليا، السنة الجامعية 1989/1988مـ.

5- أحمد زروق، الكناش، تحقيق علي فهيمي خشيم. منشورات المنشأة الشعبية، طرابلس ليبيا.

6- عباس الجراري . وحدة المغرب المذهبية خلال التارخ . دار الثقافة، الدار البيضاء.

7- علي فهيمي خشيم، أحمد زروق والزروقية،-دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة- منشورات المنشأة الشعبية، طرابلس-ليبيا، ط 2 سنة 1980 .

8- عبد الله نجمي، بين زروق ولوثر، في الاصلاح الديني والعصور الحديثة، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 69، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، ط :1 سنة 1997مـ

9- ابراهيم حركات، مدخل الى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم الى القرن 15/9، ج : 3، دار الرشاد الحديثة، ط: 1 سنة 1421هـ/2000 مـ.

10- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ط3، 1390هـ/1970مـ.

11- الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي، دار الفكر.

12- الفيروزأبادي،القاموس المحيط، دارالفكر،بيروت، 1404هـ/1983مـ

13- ابن منظور،لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1417هـ/1997مـ

14- أب واسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت.

15- أحمد الريسوني، مدخل الى مقاصد الشريعة، مطبعة التوفيق، ط2، سنة 1417هـ/1997مـ.

16- أحمد الريسوني، الفكر المقاصدي، قواعده وفوائده، منشورات الزمن، رقم9، دجنبر 1999.

17- أحمد الريسوني، الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، دار الهادي، ط1، سنة 1424هـ/2003مـ

18- محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، ط5، سنة 1417هـ/ 1996مـ .

19- أحمد زروق، قواعد التصوف، تنقيح وتصحيح محمد زهري النجار، نشر مكتبة الكليات الأزهرية/ القاهرة، ط3 سنة 1409هـ/ 1989 م.
20- أحمد زروق، عدة المريد الصادق من أسباب مقت حوادث في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت . مخطوط بالخزانة العامة – الرباط تحت رقم 1957 د.
21- أحمد زروق، حكم ابن عطاء الله، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، نشر مكتبة النجاح، طرابلس ليبيا .
22- عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب، دار الكتاب اللبناني .
23- محمد. المنوني، ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، منشورات كلية الآداب- الرباط 1979مـ.
24- أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الامام الشاطبي، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، سنة 1416هـ/1995مـ.
25- وهبة الزحيلي، نظرية الضرورة الشرعية مقارنة مع القانون الوضعي، مؤسسة الرسالة، ط 3، سنة 1402هـ/ 1982مـ.